الفصل الخامس

المنابع الاجتماعية لنشأة الديمقراطية

❖❖❖

نشأت الديمقراطية الإسلامية في القرن(٧) السابع الميلادي في كنف الشريعة الإسلامية ضمن رسالة الإسلام بين مختلف القوى الاجتماعية وفئاته. بحيث تولى أمرها وشارك في بنائها رسولٌ معصوم وبشر عاديون ما بين مستضعف فقير أو عبد وما بين شيخ قبيلة أو غني تاجر وما بين امرأة وغلام وما بين الغلاة من ذوي العصبية العربية وبين أجناس من شعوب غير عربية وأقوام أخرى، وعليه يصح أن نقول: إن ديمقراطية الإسلام الواسعة نابعة من أممية شعبية وشعوبية ذات رسالة خالدة في الحرية والمساواة والعدل والإخاء ولذلك فإن انتشار مفاهيمها كان سريعًا وواسعًا بين مختلف الأقوام والشعوب لتفردها بالمناداة بحقوقٍ للناس أجمعين دون تمييز ودون قيود. بينما نشأت الديمقراطية الأوروبية –بعد ظهور الديمقراطية الإسلامية بعشرة قرون– في أحضان الإقطاعيين والنبلاء في برلمان بريطانيا ونشأت مثلها في أمريكا بين كبار الملاك الأقوياء في المجالس المحلية للولايات الذي كان همهم المطالبة بعدم فرض ضرائب عليهم دون تمثيل لهم كما نشأت بين أوساط الطبقة الوسطى في فرنسا فكريًا وسياسيًا، غير أن حركة الديمقراطية الأوروبية اقتصرت على الجنس الأبيض فقط وحتى حينما كان الجنس الآخر موجودًا فإنه إما استؤصل كما حدث للهنود الحمر في أمريكا أو استعبد واستبعد منها كما حدث للأفارقة الزنوج الذين هُجِّروا قسرا وعبيدًا إلى أمريكا من بين مسلمي غرب أفريقيا في معظم الأحوال. أما حين قامت حركة الديمقراطية الشعبية في أحضان الطبقة العاملة بعد الثورة الروسية في أوروبا الشرقية فقد تعرض ملايين المسلمين مع غيرهم للقتل الجماعي والنفي القسري إلى سيبيريا على يد البلاشفة الروس كما حدث تمامًا للمسلمين على يد نصارى إسبانيا بعد سقوط الأندلس في نهاية القرن(١٥) الخامس عشر الميلادي. ولذلك فإن الحكم في

المجتمعات الإسلامية السمحة خلال التاريخ الإسلامي قد وصل إليه معظم الأجناس والطبقات من مختلف الشعوب بينما في أوروبا وأمريكا لم يصل الحكم بعد إلى هذا اليوم سوى الجنس الأبيض.حتى في البلدان التي استعمرها واستأصل سكانها الأصليين واستوطنها مثل القارة الأمريكية (أوالقارة المارقة)كما يسميها الجغرافي العربي المسعودي .

إن الذين حملوا راية الديمقراطية الإسلامية من الجزيرة العربية إلى خارجها صنعوا شعبا مسلما من "الأمازيج "لأنهم كانوا يمتزجون بالشعوب الأخرى ويذوبون فيها بحكم ديمقراطية الإسلام في المساواة والإخاء التي مارسوها في دولة المدينة تحت ولاية الرسول الكريم وخلفائه الأربعة الراشدين،ولا يتعالون بعنصرية جنسية _إذ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى_كما فعل الجنس الأوروبي الأبيض .فشعوب جناح الغرب الأوروبي مثل البريطانيين والفرنسيين والإسبان والبرتغال الذين خرجوا لاستعمار العالم مارسوا التعالي والعنصرية على الشعوب المقهورة المستعمرة. وبالمثل فإن شعوب الجناح الشرقي لأوروبا التي خرجت من روسيا الإمبراطورية أو البلشفية لاستعمار الدول الآسيوية الإسلامية فعلت مثلما فعله الأوروبيون العنصريون الآخرون .أما قلب أوروبا الذي مثلته ألمانيا فإنها حين لم تجد الفرصة الكافية لاستعمار الشعوب الأخرى غير الأوروبية فجرت نزعتها العنصرية المتعالية في الجنس الشرقي السامي من اليهود .ولذلك فإن الديمقراطية الأوروبية لم تتطور إلا على حساب استنزاف الشعوب المقهورة الأخرى، فكلما زاد الرخاء المادي فيها من استعمار الشعوب زادت المطالب الطبقية بالعدل والمساواة في الدول الاستعمارية الأوروبية مما أدى إلى تتطور العلاقة ديمقراطيا بين الحكام والمحكومين. أما الديمقراطية الإسلامية فإنها منذ اليوم الأول نزلت كحزمة سماوية من القيم والمثل الإنسانية فانتشرت كالنور والنار بين المستضعفين في بقاع الأرض التي دخلتها فأحرقت إمبراطوريات الاستعلاء العنصري والاستكبار المادي في ذلك الزمان.